الدعوة إلى الحب والسلام في الأدب الصوفي –رواية قواعد العشق الأربعون أنموذجا–

سميحة بزازل: طالبة دكتوراه
المشرف: حسين تروش، أستاذ محاضر أ
مخبر: المثاقفة العربية في الأدب ونقده
جامعة: محمد لمين دباغين –سطيف2–

الملخص:

يشهد العالم اليوم الكثير من النزاعات والحروب التي تهدد أمنه واستقراره، ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى تصوف حقيقي يستجلي روح الإسلام، لأن الإسلام يدعو الناس إلى المحبة والتسامح والدخول في السلم، وينبذ العنف والتطرف، وبناء عليه وجدت هذه الورقة البحثية التي تحاول الإجابة عن السؤال الأتي : ما مدى مساهمة التصوف عموما والأدب الصوفي بشكل خاص في نشر المحبة وتحقيق السلام؟

الكلمات المفتاحية:

الأدب الصوفي ، المحبة ، السلام ، رواية قواعد العشق الأربعون .

Abstract:

Today, the world is witnessing of many conflicts and wars which threaten its security and stability. Its urgently needs a true mysticism, which evokes the spirit of Islam, because it invites people to love and peace, and it renounces violence and extremism, that, why is have found this research paper which tries to answer the following question:to what extent has mystical literature contributed the transmission of peace and love?

Key words : Mystical literature love, peace, the novel of the forty rules of adoration.

مقدمة:

لا يخفى علينا أن القرن الثالث عشر هو قرن حروب وفتن وصراعات دينية وسياسية بامتياز، فقد حل العنف والخراب والدمار على العالم وكانت هناك << فترة من الفوضى لم يسبق لها مثيل، حيث كان المسيحيون يقاتلون المسيحيين، والمسيحيون يقاتلون المسلمين، والمسلمون يقاتلون المسلمين. فحيثما ولى المرء وجهه كان هناك اقتتال وألم وخوف شديد>>1 ، وفي خضم هذا السواد القاتم الذي خيم على العالم ظهر إلى الوجود عالم إسلامي يعرف باسم جلال الدين الرومي، والذي بدلا من أن << يدعو إلى الجهاد الخارجي (الجهاد على الكفار) دعا الرومي إلى الجهاد الداخلي، وتمثل هدفه في جهاد "الأنا" وجهاد "النفس" وقهرها في نهاية الأمر لكن هذه الأفكار لم تلق ترحيبا من جميع الناس، ولم يفتحوا جميعهم قلوبهم للمحبة >>2 ، وهو الأمر الذي ساهم في استمرار الحروب وتفاقمها، فالعالم اليوم يعيش حروبا طاحنة وحالة من الفوضى اللامتناهية رغم محاولات رجال الصوفية لتحقيق السلام والقضاء على الحروب والنزاعات، وليس رجال الصوفية فحسب بل حتى الفرد العادي أصبح يسعى إلى تحقيق الأمان ولو باستخدام أساليب (ثورات الربيع العربي مثلا) والتي عوضا من أن تحقق لنا السعادة والاطمئنان جلبت في أحايين كثيرة المزيد من الدموية والخوف وانعدام الأمن.

فالملاحظ أن هناك تشابه كبير بين القرنين؛ القرن الثالث عشر والقرن الواحد والعشرين ، وسيدون << التاريخ أن هذين القرنين كانا عصرا صراعات دينية إلى حد لم يسبق له مثيل، وعصر ساد فيه سوء التفاهم الثقافي، والشعور العام بعدم الأمان والخوف من الآخر. في أوقات كهذه، تكون الحاجة إلى الحب أشد من أي وقت مضى >>3، ويكون الأجدر بنا اليوم أن نقوم بتطبيق ما دعا إليه الرومي في القرن الثالث عشر، وأن نسعى إلى مقاومة النفس بدلا من مقاومة الآخر وأن نفتح جميعا قلوبنا للحب الذي يعتبره الصوفية أنه << من أنبل العواطف الإنسانية وأجملها وأعمقها أثرا، فالحب هو منطلق كل خير وهو الملهم للإنسان والمحرك له، وهو الذي يعطي للإنسان معنى إنسانيته، فالإنسان بدون حب هو صخرة صماء >>4 ، فالحب هو ملجأنا هو سبيلنا الوحيد وبفضله فقط نستطيع خلق مجتمع يسوده الأمن والاستقرار والطمأنينة، وهو أسمى غايات التصوف الذي يسعى باستمرار إلى بناء صرح المحبة، حيث نجد أن رواية قواعد العشق الأربعون، وهي رواية صوفية بامتياز يغلب عليها تناول مواضيع العشق والحب التي تلعب دور مهما و فعال في تحقيق السلام الروحي والمجتمعي، ولعل من أهم هذه المواضيع نذكر:

***الحب الإلهي:**

يرتبط مصطلح الحب الإلهي ارتباطا وثيقا بالتصوف، لأن الصوفي الحق هو من آثر حب الله عن بقية أنواع الحب الأخرى وجعله في أعلى المراتب والدرجات، هو من احترق قلبه شوقا للقاء محبوبه فجعل من السفر وسيلة لنيل مبتغاه ؛ أي الوصول إلى العشق الإلهي، والسفر عند الصوفية سفران << سفر بالبدن، وسفر بالقلب، فأما سفر البدن فانتقاله من مكان لآخر، وأما سفر القلب فهو ارتقاء القلب بالتدرج في الصفات المحمودة >>5 ، فسفر البدن يتحقق من خلال رحيل الصوفي وارتحاله عن أهله وخلانه وذويه بحثا عن معرفة الذات الإلهية وصفاتها إذ << أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك >>6 ، في حين يحصل النوع الثاني من السفر؛ أي سفر القلب بمجاهدة النفس ومقاومتها عن طريق اجتناب الملذات والشهوات بهدف جعل القلوب نقية وصافية من الصفات السلبية، والصفاء يقصد به << خلوص الباطن من الشهوات والكدرات. فعلم التصوف يهتم بصفاء القلب من الشهوات كحّب الرسائة وحب السمعة وحب المحمدة من الناس ،وبصفائه من الكدرات أي الأمراض القلبية كالحقد والحسد والكبر والعجب والغرور وسوء الظن بالناس >>7، و صفاء القلب من الشهوات والكدرات يحتاج من المسلم إلى أمرين 8:

الأول :معرفة أمراض القلب ودسائسه .
الثاني :العمل من أجل تجبّب هذه الأمراض والوقاية منها ؛أو معالجة هذه الأمراض إن أصيب بها، والوقاية والعلاج لا يكونان إلا من خلال تيقن الإنسان بمراقبة الله له في السر والعلن

وقد اجتمعا هذان السفران في الرواية مع الدرويش المتجول شمس التبريزي الذي انطلق في رحلة البحث عن الحب الإلهي ساعيا للوصول إلى الأزلية ومجاهدا للنفس رافضا حتى أبسط الأمور التي يمكن أن تدنس علاقته مع الله لدرجة أنه يرفض ما هو حلال له شرعا مخافة أن يبعده عن مقصده، فهو يرفض الزواج باستمرار وحتى حين اضطر إليه ليبقى بجانب صديقه ومحبوبه الروحي (جلال الدين الرومي) الذي بفضله سينال غايته وسيصل إلى مرتبة الحب الإلهي، نجده يعتكف عن زوجه رغم محاولاتها العديدة لمراودته عن نفسه، فها هو يهجرها معترفا بأن زواجه منه كان خطأ، يقول << أدركت الخطأ الفظيع الذي ارتكبته بزواجي منها. وعصف ألم شديد في رأسي، فخرجت من الغرفة إلى عتمة الليل. لم يكن يتعين على رجل مثلي أن يتزوج، فأنا لم أخلق لأعيش حياة مستقرة . كنت

أرى ذلك بوضوح شديد، لكن ما أحزنني كثيرا هو ثمن هذه المعرفة >>9 ، ومع هذا الشعور الذي انتابه لم يستطع الرحيل لأنه لا يقوى العيش بعيدا عن رفيقه الروحي الذي أتى إليه وهو << يؤمن أنه يحمل رسالة خاصة إلى هذا العالم، ولكي يحقق غايته، فهو يبحث عن شخص متنور لينقل له رسالته وينوره. وأنه لا يبحث عن مريد أو تلميذ، بل يسأل الله أن يعثر على رفيق... فهو لم يأت من اجل الناس العاديين أتى ليضع أصبعه على نبض شخص يرشد العالم إلى الحقيقة >>10 ، فقد حضر شمسا إلى قونية للقاء محبوبه وهو يعلم أن رحلته محفوفة بالمخاطر وأن احتمال لقاء حتفه وارد جدا، ومع هذا واصل رحلته لأنه تعود أن يتقبل الحياة بحلوها ومرها، فالصبر عنده يعني << أن تنظر إلى الشوكة وترى الوردة، أن تنظر إلى الليل وترى الفجر. أما نفاذ الصبر فيعني أن تكون قصير النظر ولا تتمكن من رؤية النتيجة. إن عشاق الله لا ينفذ صبرهم مطلقا، لأنهم يعرفون أنه لكي يصبح الهلال بدرا، فهو يحتاج إلى وقت >>11 ، وكما تقول إحدى قواعد العشق الأربعون << عندما تجد القابلة أن الحبلى لا تتألم أثناء المخاض، فإنها تعلم أن الطريق ليس سالكا بعد لوليدها، فلن تضع وليدها إذا، ولكي تولد نفس جديدة، يجب أن يوجد ألم. وكما يحتاج الصلصال إلى حرارة عالية ليشتد، فالحب لا يكتمل إلا بالألم >>12 ، وإلى جانب مجاهدة النفس ومحاولة إخماد نار الشهوات خوفا من البعد عن الله وأيضا الصبر على المشاق يستخدم الصوفية أيضا << الذكر كوسيلة لإفراغ القلب مما فيه من شواغل كي يكون معدا لتجلي الحق عليه لأنه يخلق الباطن خلقا متجددا، ويقيم أحكام المناسبة الجامعة بين الحق في القلب والحق المطلق، وهم يميلون إلى أن يكون الذكر ذكرا باطنا تتحرك له كل الجوارح الباطنة، وتستغرق فيه وتركز على المذكور، وبهذا تنسحب لا شعوريا من العالم الخارجي وتنفتح على العالم الباطن اللانهائي >>13 ، فالله عزوجل حاضر في قلب الصوفي ولسانه باستمرار؛ في الحل والترحال، في الليل والنهار، في الفرح والحزن... إلخ ولهذا كثيرا ما تتحقق أمانيه ويكون بقرب الله ، يقول شمس التبريزي << ومنذ طفولتي، كنت أرى رؤى وأسمع أصواتا، وكنت أكلم الله، وكان يرد عليا على الدوام. وفي بعض الأيام كنت أصعد إلى السماء السابعة، بخفة شديدة، ثم أهبط في أعمق حفرة في الأرض، تفوح منها رائحة التراب، مخيفة مثل صخرة مدفونة تحت أشجار البلوط الضخمة وأشجار الكستناء الحلو. وبين الحين والآخر، كنت أفقد شهيتي للطعام، وكانت تمر أيام عدة لا أتناول فيها طعاما >>[14] ، فما أصعب لحظة فراق المحبوب والابتعاد عنه لاسيما وأنه ليس كأي محبوب عادي فهو الله جل جلاله ،بل حتى المحب فهو ممن من قال عنهم الله تعالى << والذين

آمنوا أشد حبا لله >>[15] ، أي أن قلب شمس التبريزي قد امتلأ حبا لله وفاض بنوره فلم يعد يقوى على فراق محبوبه.

وأخيرا تحققت نبوءة الأستاذ العطار لتلميذه الرومي بأنه << سيفتح بابا في قلب العشق ويضرم النار في قلوب جميع العشاق الصوفيين >>16 ، وذلك بفضل شمس التبريزي الذي يقول الرومي أنه فعل << كل ما فعله كي أصل إلى درجة الكمال... في البداية أبعدني عن المعجبين بي، تم عزلني عن النخبة الحاكمة، وجعلني أتواصل مع عامة الشعب. وبفضله تعرفت على أشخاص ما كنت لألتقي بهم لولاه؛ وبسبب إيمانه بأنه يجب تحطيم جميع الأصنام التي تقف حائلا بين العبد والله ، بما في ذلك الشهرة والثروة والمقام، بل حتى الدين، فكنني شمس من جميع القيود التي كانت تقيدني بالحياة. >> [17] ، فجعل من الرومي داعية للحب وضحى بنفسه في سبيل العشق حيث انسحب وسحب معه << الرومي إلى شرنقة العشق الإلهي، ولن يخرج منها إلا عندما يحين الوقت وينسج الحرير الثمين، لكن في النهاية، لكي يعيش الحرير يجب أن تموت دودة القز>>[18]، لقد قتل شمسا مثلما تقتل دودة القز، وهذا الأمر ليس مفاجئا له لأنه يعلم مسبقا وأخبر بابا زمان الذي كان له الفضل في الوصول إلى رفيقه الرومي أن دوره يشبه دور دودة القز، وبالتالي النتيجة ستكون مشابه ومماثلة ، ولكن وبالرغم من وفاة شمس فإن الحب باق لن يموت.

ولاشك أن وصول الصوفي إلى الحب الإلهي يشعره بسعادة ولذة لا مثيل لها؛ حيث تطمئن روحه وهو بجانب المعشوق ويتحقق له السلام الداخلي الذي لا يفهم معناه إلا من خاض التجربة الصوفية التي تفضي في النهاية إلى غلبة الروح على الجسد، ولا شك أن السلام النفسي والأمن الروحي لا يتأتى << إلا بمعرفة الإنسان لنفسه ،ومعرفة الاختلالات الذاتية ومحاولة معالجتها .فالتربية الروحية تتصدى لجوهر الإنسان ولبه،وتزكية النفس وإصلاحها، وترتقي بالنفس من أمارة بالسوء إلى نفس لوامة إلى نفس مطمئنة ،فيصبح الإنسان بذلك متوازنا ،متكاملا ،فاعلا ونافعا،متواصلا ، منفتحا على عصره ،قادرا على إرساء قواعد السلم والسلام >>19 ، وعلى الطريقة الصوفية << تكتشفين أولا فن أن تكوني وحيدة في وسط جمع من الناس ،ثم تكتشفين أن جمع الناس يقبعون في داخل وحدتك >>20، وبذلك يبقى التصوف أفضل وسيلة لفض النزاعات و ترسيخ قيم التعايش و السلام.

الحب بين بني البشر:

يعتبر التصوف مطلبا أساسيا للرقي بالإنسان إلى مرتبة الإنسانية، لأنه يهتم_في تكوين شخصيات الأفراد بالجانب الروحي ويركز اهتمامه على الجوارح وباطن النفس كما يسهم إسهاما بالغا_في بناء علاقات قوية ومتينة بين البشر قوامها المحبة والتراحم، فالصوفي يفيض قلبه حبا للناس أجمعين ويكون خال من الكراهية والبغضاء والضغينة ، وهو يستمد ذلك من تعاليم الدين الإسلامي متخذا من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، حيث يسعى دائما لبلوغ أسمى الصفات والأخلاق ، ولعل **صفة الرحمة واللين_في التعامل** من الصفات البارزة_في الرواية فهذا شمس التبريزي يحمل الرجل السكير سليمان الذي يقول عنه << من دون أن يعبأ بالدم والبول ،أو بالرائحة الكريهة ،حملني الدرويش عبر أزقة قونية الضيقة ...مع أنني كنت حزينا ،شعرت بطمأنينة سعيدة_في أعماقي. وللحظة عابرة، لمحتها وتمنيت أن تبقى هناك إلى الأبد. وفي تلك اللحظة، عرفت أن الله موجود، وأنه يحبني >>21 فياله من شعور يريح القلوب ويبث فيها الطمأنينة والسكينة، وما أجمل الحب الحب من دون مقابل الذي يعيد للنفس البشرية مكانتها التي ميز الله بها الإنسان ويجعلها فوق كل اعتبار.

ومن الصفات والأخلاق الطاغية_في الرواية أيضا نجد خلق **المداراة واحتمال الأذى** << وقد ضرب الصوفية_في المداراة واحتمال الأذى القدح المغلى حتى أن حياتهم كلها تكاد تكون قائمة على ذلك يدارون العامة ويحتملون أداهم ويدارون الحكام ويحتملون أذاهم ويدارون كل منكر لهم متهم لطريقتهم لا يناصبونه عداء بعداء ولا أذى بأذى طوردوا وعذبوا وحبسوا وأوذوا وصبروا واحتملوا >>22 ، وكما تقول القاعدة الثلاثون<<إن الصوفي الحق هو الذي يتحمل بصبر،حتى لو اتهم باطلا، وتعرض للهجوم من جميع الجهات، ولا يوجه كلمة نابية واحدة إلى أي من منتقديه. فالصوفي لا ينحني باللائمة على أحد فكيف يمكن أن يوجد خصوم أو منافسون >>23 ، وكيف يستطيع إنسان أن يكره شخص بهذه الصفات شخص يصبر ويأبى أن يرد السيئة مع أنه مظلوم ،ل أنه يعلم علم اليقين أن رد السيئة بالسيئة لا يحل المشكلة وإنما يزيد_في تفاقمها، والأذب الذي يتعرض له الصافي << وفي كثير من الأحيان كان يتعداه إلى الإيذاء الذي قد يصل إلى حد القتل والاتهام الذي قد يصل إلى حد التكفير >>24 ، فقد وصل الحال بالحساد الذي يملأ قلوبهم الحقد والغيرة من علاقة الحب بين شمس التبريزي وصديقه الرومي إلى قتل شمس وإلقاء جثته_في البئر، حيث نجد بالرومي يبكي من شدة الوجع على فراق محبوبه، وهو يصرخ ويقول << لقد

قتلوه ! لقد قتلوا شمسا >>[25] ، الذي لم يؤذي أحدا وكان همه الوحيد أن يغرس الحب في قلوب البشر وأن يرسي قواعد الأمن والسلام في العالم.

وفي مقابل دعوة التصوف إلى التحلي بالأخلاق والصفات الحسنة، فهو يدعو أيضا إلى الكف عن الأفعال الشنيعة **كالنميمة مثلا** لأن الناس <<لا يكفون عن إدانة شاربي الخمر ،أو البحث عن النساء الزانيات لرجمهن، لكن عندما يتعلق الأمر بالنميمة التي هي أعظم إثم في نظر الله، فإنهم لا يعرفون أنهم يرتكبون إثما >>26 ، حتى إن بعض العقول هداها الله تفتري على الناس باطلا فكم من كلمة دمرت حياة أناس أبرياء، فالمطلوب من كل إنسان أن يكون << رحيما ولا يكن نماما، حتى لو كانت كلماتك بريئة،ل أن الكلمات التي تنبعث من أفواهنا، لا تتلاشى بل تظل في الفضاء اللانهائي إلى ما لانهاية وستعود إلينا في الوقت المناسب. إن معاناة إنسان واحدة تؤذينا جميعا. وبهجة واحد تجعلنا جميعا نبتسم >>27 ، إذا لنتبع تعاليم الدين الإسلامي الذي يسعى إلى تنظيم الحياة وتحقيق الأمن والسلام .

الدعوة إلى الحب بين الشرق والغرب:

الصراع بين الشرق والغرب ليس بالشيء الجديد المبتكر بل هي حكاية كتبت بوادرها منذ الزمن الغابر، وبحسب المتصوفة فإنهم يرون تلك الحروب في رؤاهم ويعلمون بها قبل وقوعها، لكنهم يبقون ذلك سرا لا يعلم به أحد، وهم << يعللون سكوتهم ورضاهم بما ينزل بقومهم من المصائب بان هذه المصائب عقاب من الله للمذنبين من خلقه، فإذا كان الله قد سلط على قوم ظالما فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأفف منها >>[28] ، ولذلك اهتم الغرب بالمتصوفة بهدف <<إغراق المثقفين من سكان الشرق بكتب الصوفية لصرفهم عن عمود القومية وعرين العزة وميادين الكفاح المسلح >>[29] ، ولا يخفى علينا أن الزمن إلى يومنا هذا لم يتمكن من محو الذكريات الأليمة فكل شرقي يحمل بداخله كرها وعداءة للآخر الغربي وكأن هذا الكره يولد معنا أو أننا نرشفه حليبا أسودا من صدور أمهاتنا يملأ قلوبنا حقدا وظغينة، ولا يخفى علينا أن هذا الكره كره متبادل لأن صورة الشرقي عادة ما ترتبط بالإرهاب عند الغرب ، وقد نتج عن هذا الكره الكثير من الأزمات الدولية والحروب فالعالم يشهد السباق نحو التسلح والكثير من الفتن والحروب، لأن الأشياء التي لا نسعى إلى اصلاحها ومعالجتها تترسخ وتتفاقم مع مرور الوقت، فالأمر مشابها لعملية رمي حجر في بحيرة، لأنك إن رميت << حجرا في بحيرة، لن يكون تأثيره مرئيا فقط، بل سيعكر الحجر صفو المياه الراكدة، وسيشكل دائرة في البقعة التي سقط فيها، وبلمح البصر، ستتسع تلك

الدائرة، وتتشكل دائرة إثر دائرة. وسرعان ما تتسع المويجات التي أحدثها صوت سقوط الحجر حتى تظهر على سطح الماء الذي يشبه المرآة، ولن تتوقف هذه الدائرة وتتلاشى، إلا عندما تبلغ الدوائر الشاطئ >>30، ولهذا ينبغي علينا نعالج الأمور قبل أن يزداد الأمر سوءا.

والروائية إليف شفق تسعى في هذه الرواية إلى القضاء على الحروب والنزاعات وإرساء قيم التعايش والسلام من خلال قصة حب البطلة إيلا و عزيز، فإيلا التي كانت تعتبر << الزواج من شخص ينتمي إلى خلفية مختلفة مقامرة كبيرة >>[31]، تترك زوجها وأطفالها وتتزوج برجل غربي اعتنق الإسلام -حين تعرف على المشارقة وأ درك حقيقة المشرق والإسلام - بالرغم من أنهما << لم يكونا يعيشان في المدينة نفسها، ولا حتى في القارة ذاتها. ولم تكن تفصلهما أميال كثيرة فقط، بل كانا كذلك مختلفين اختلاف الليل والنهار. وكان أسلوبا حياتهما مختلفين إلى درجة استحالة أن يتحمل أحدهما وجود الآخر، فما بالك بأن يحب أحدهما الآخر. لكن ذلك حدث فعلا. وقد حدث بسرعة، بسرعة كبيرة لم يتح لإيلا فيه وقت لتدرك حقيقة ما يجري، ولكي تحذر من الحب.>>32) ، فهي ليست مجرد حكاية عادية بين رجل وإمرأة بقدر ما هي نسق مضمر يحمل في ثناياه دلالة إمكانية العيش والتعايش في حب وسلام بين الشرق والغرب، فحتى إيلا نفسها تقول << عندما كنت في الجامعة، مرت فترة أدمنت فيها على الروحانيات الشرقية، وقرأت أشياء عن البوذية والطاوية. حتى إنني وضعت خططا مع صديقة غريبة الأطوار لقضاء شهر في أشرام في الهند، لكن تلك المرحلة من حياتي لم تدم طويلا. وبقدر ما كانت تعاليم صوفية جميلة ومثيرة، فقد خيل إلي أنها تعاليم مطاوعة ومذعنة ولا تلائم الحياة المعاصرة، ولم أغير رأيي منذ ذلك الحين >>[33] ، فالواضح أن الأسباب التي تدعيها إليها أسباب واهية ، فهي نفسها لم تقتنع بها ،لأنها حين وجدت رجل صوفي أحبته بصدق وآثرته عن حياتها السابقة ، والواضح أن هذه الحكاية تشير إلى أن الإسلام هو دين الحق وأنه لم تعرف الناس في كل العالم على أفكار المتصوفة من أمثال الرومي لعم الأمن والسلام ، ولاشك أن السلم والسلام يتحقق من خلال دعوة التصوف إلى :

***نبذ العنف والقتال:**

يعتبر التصوف وسيلة مهمة لفك النزاعات والحروب ، فهذا شمس التبريزي يصيح محاولا إيقاف المعركة التي دارت بين رجلين ثملين وصاحب الحانة قائلا << "توقف عن ذلك .إنك ستقتله.أ هذا ما تنوي عمله". ولما كنت صوفيا، فقد أقسمت على أن أحمي حياة

الناس وألا ألحق الأذى بأحد. >>34، وفي حين أن الناس العاديين يتشاجرون نجد أن الصوفي << لا يتشاجر مع أحد حتى لو كان لديه سبب يدعوه إلى ذلك. فلا يوجد ثمة داع يجعلني ألجأ إلى العنف. لكن بإمكاني أن ألقي بنفسي مثل بطانية ناعمة بين صاحب الحانة والزبون لأفصلهم عن بعضهم >>35، فهو يرفض العنف ويحاول مثل ملاك نازل من السماء حماية البشر .

والتصوف يهدف إلى هداية الناس للتي هي أقوم من خلال تقريبهم إلى الله وإبعادهم عن المعاصي، ففي الوقت الذي يطارد فيه رأس الواوي عاهرة << كان يريد تشويه وجهها لأنها أرادت التوبة >>36 نجد الصوفي شمس التبريزي يهدئ من روعها ويقول لها أنت << تهدفين إلى بلوغ المرحلة العليا من العدم. عيشي هذه الحياة خفيفة وفارغة مثل الرقم صفر. إننا لا نختلف عن أصيص الزرع. فليست الزينة_في الخارج، بل الفراغ_في داخلنا هو الذي يجعلنا نقف منتصبي القامة. مثل هذا تماما، فالوعي بالعدم وليس ما نتطلع إلى تحقيقه، هو الذي يبقينا نواصل الحياة >>37، فعلينا أن نعيش بما يرضي الله حتى نبلغ أعلى المراتب. ولما كان الموت امتحان من الله عزوجل فلا مجال للمقارنة بينه وبين قتل النفس الذي حرمها الله، يقول تعالى << ولا تقتلوا النفس الذي حرم الله إلا بالحق >>38 كما يقول جل جلاله أيضا << أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد_في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا >>39، فالله يحرم قتل النفس بغير الحق، ومن هذا المنطلق نجد التصوف يرفض ما تصرح به إحدى شخصيات الرواية متمثلة_في شخصية رأس الواوي حين يقول << كنت أنفذ الأعمال القذرة لصالح الآخرين .حتى الله أدرك الحاجة إلى شخص مثلي_في خطته المقدسة عندما عين عزرائيل ،ملاك الموت لإنهاء حياة الناس . وهكذا يخاف الناس الملاك ويلعنونه ويمقتونه ،بينما تظل يد الله نظيفتين ،ويظل اسمه نقيا،وفي ذلك جور على هذا الملاك >>40 ، فهذا هراء لأن الموت امتحان من الله عزوجل فهو من خلق وأبدع_في خلقه وهو من له الحق بأخذ ما أعطى، لكن القاتل ما صفته لينهي حياة الناس، ولعل ما يدل على أن هذا الفعل شنيع وغير مقبول قوله << مضت الآن أربع سنوات منذ أن طعنته_في ذلك الفناء،وألقيت بجسده_في بئر،ورحت أنتظر سماع صوت سقوطه_في الماء، وهو ما لم أسمعه أبدا .لم يصدر أي صوت. فبدل أن يسقط_في الماء ،يبدو أنه صعد إلى السماء .ومازلت لا يغمض لي جفن من دون أن تنتابني كوابيس، وعندما أنظر إلى الماء ، أي مصدر ماء ،لبضع ثوان،يتملك جسدي كله رعب بارد ،فأتقيأ >>41 ، ومع هذا فإن هذا الجزاء قليل مقارنة بالفعل الشنيع

ويجب على الجاني التوبة والاستغفار لعل الله يغفر له، وما هو متداول أن الناس قد تتصيد العدو بغية الخلاص منه << لكن ليس بإمكان أي شخص أن يقتل شخصا غريبا عامدا متعمدا ،وهنا أدخل إلى الصورة >> 42 ،أي فخر هذا الذي يفتخر به ؟ أيقتل نفسا بريئة لم تتسبب في إذاء أحد ؟ ولهذا كان المفروض علينا اليوم أن نستوعب أفكار المتصوفة المستمدة من الدين الإسلامي جيدا لأنها تسعى إلى تحقيق الأمن والسلام وتنبذ العنف والقتال .

***قبول الآخر والتعايش معه:**

التعايش مع الآخر ضرورة حتمية لوجودنا، ثم إن تباغض وحقد القلوب بعضها على بعض لن يحل المشاكل والأزمات بل إنه سيزيد الأمر تعقيدا، وأن السبيل لتحقيق الأمن والسلام أن نتقبل بعضنا ونتضامن سويا لنتمكن من حقن الدماء وإنهاء القتال، فحتى الحروف تتناغم مع بعضها البعض فهذه الحروف مثلا(ت ع ا ي ش) تتعاضد لتشكل كلمة تعايش، فما بالنا نحن البشر تتباغض ويكره أحدنا الآخر بسبب الاختلاف الذي يعتبر طبيعة الحياة ، فمثلا نجد أن ولدا الرومي << بذرتين، بالرغم من أنهما زرعتا جنبا إلى جنب وفي التربة نفسها ،وغذتهما الشمس ذاتها ،وسقتهما نفس الماء، فقد انتشتا فأعطتا بذرتين مختلفتين تماما >>43، و وكما تقول إحدى قواعد العشق الأربعون أننا << جميعا مخلوقات مختلفة ومميزة. لا يوجد شخصان متشابهان، ولا يخفق قلبان لهما الإيقاع ذاته .ولو أراد الله أن نكون متشابهين ،لخلقنا متشابهين، لذلك فإن عدم احترام الاختلافات وفرض أفكارك على الآخرين.يعني عدم احترام النظام المقدس الذي أرساه الله >>44، فالاختلاف ميزة تعطي للحياة طعم مختلف، وكما تقول القاعد الخامسة والثلاثون <<في هذا العالم، ليست الأشياء المتشابهة أو المنتظمة، بل المتناقضات الصارخة، هي ما يجعلنا نتقدم خطوة غلى الأمام. ففي داخل كل منا توجد جميع المتناقضات في الكون، لذلك يجب على المؤمن أن يلتقي بالكافر القابع في داخله؛ وعلى الشخص الكافر أن يتعرف على المؤمن الصامت في داخله. وإلى أن نصل إلى اليوم الذي يبلغ فيه المرء مرحلة الكمال، مرحلة الإنسان المثالي، فإن الإيمان ليس عملية تدريجية، ويستلزم وجود نظيره الكفر >>[45]، فبالحب فقط نستطيع أن نعيش معا في أمن وأمان، وإن كنت مسلم أم مسيحي أم يهودي ، أبيض أم أسود، طويل أم قصير هذا من صنع الله الذي جعل الناس في أحسن تقويم وليس بالشيء الذي يوليه التصوف أهمية عظمى، فالحقيقة أن << ديننا هو دين العشق، وجميع البشر مرتبطون بسلسلة من القلوب. فإذا انفصلت حلقة منها، حلت محلها

حلقة أخرى_في مكان آخر، ومع موت كل شمس تبريزي، يظهر شمس جديد_في عصر مختلف، باسم مختلف >>[46] ، وما يهم الصوفي إنك إنسان وسينظر لك ويعاملك وفق هذا المنظور.

ولذلك يتوجب علينا أن نترك الكراهية وأن نسقط جميع الفوارق بين الناس حتى نعيش_في حب ووئام، لأننا فعلا لم نعد نستطيع العيش_في ظل الحروب والنزاعات، على الأقل لنرحم صغارنا ونمنحهم بعض الحقوق كالتعليم والعيش_في أمان ولنترك لهم بصيص أمل_في الغد، ولنبدأ من هذه اللحظة لنبدأ بتغيير أنفسنا قبل السعي_في تغيير الآخرين، أحبك أخي وآمل أن تحبني أيضا حتى نعيش_في أمن وسلام، لأن الإنسان يعز عليه كثير أن يؤدي من يحب.

خاتمة:

بعد رحلة البحث_في رحاب الأدب الصوفي لمحاولة إيجاد أرضية صلبة يستند عليها إنسان اليوم حتى يتمكن من إخماد نار الفتن والحروب والعيش بسلام ، يمكننا رصد أهم النتائج المتوصل إليها_في النقاط التالية:

_ إتباع سبيل المتصوفة الإسلاميين من أمثال جلال الدين الرومي يفتح بابا للعشق_في قلوب الناس وينهي الحروب والصراعات بين البشر.

_ يسعى الصوفي إلى بلوغ الحب الإلهي من خلال محاولة معرفة الذات الإلهية وصفاتها ، ومجاهدة النفس ومقاومتها لتتغلب الروح على الجسد في نهاية الأمر.

_ يسعى التصوف إلى تنظيم حياة الناس من خلال الدعوة إلى الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه.

_ يعتبر التصوف وسيلة مهمة لفك النزاعات والحروب وإرساء قيم التعايش والسلام.

_ الأدب الصوفي أدب رافض للعنف بكل أشكاله وأنواعه.

_ يعتبر الحب من أسمى وأنبل العواطف الإنسانية التي الذي يسعى الأدب الصوفي إلى ترسيخها بهدف تحقيق الامن والأمان والاستقرار.

الهوامش والإحالات:

1- إليف شافاق : قواعد العشق الأربعون،((رواية عن جلال الدين الرومي)،ترجمة جالد الجبيلي ،طوى للنشر والإعلام، (د ط)، (د ت)، ص: 31.

2 -المصدر نفسه ،ص:32

3 المصدر نفسه ،ص:27.

4 -الشيخ حسين الخشن :فلسفة الحب عند الصوفي، تاريخ التصفح 2019/04/24، الساعة 18:11 www.com al-khechin

5- إبراهيم يس:المدخل غلى التصوف الفلسفي(دراسة روحية سيكوميتافيزيقية)،...،2002،ص: 115.

6 الغزالي : إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط1، 1426ه-2005م، ص:1659.

7 -عبده غالب أحمد عيسى :مفهوم التصوف ،دار الجيل ،بيروت ،ط1،1413-1992م،ص :11.

8 -ينظر : المرجع نفسه ،ص:12.

9 إليف شافاق : قواعد العشق الأربعون،((رواية عن جلال الدين الرومي)،ص: 441.

10- المصدر نفسه ،ص:120.

[11] -المصدر نفسه، ص: 113.

12 - المصدر نفسه ،ص:129،128.

13 - إبراهيم يس:المدخل غلى التصوف الفلسفي(دراسة روحية سيكوميتافيزيقية) ، ص: 115،114.

14 -المصدر السابق ،ص:58.

15- سورة البقرة ، الآيةً 165.

16 -المصدر السابق ،ص:104

17 -المصدر نفسه ،ص: 418،417.

18 -المصدر نفسه ،ص: 122.

19 - محمد الطاف ،الدكتور أبو بكر :دور التصوف في الأمن والسلام الاجتماعي ،مجلة القسم العربي جامعة لاهور-باكستان،العدد الرابع والعشرون ، 2017 ،ص :269.

20 -المصدر السابق ،ص:340.

21 - المصدر نفسه ،ص : 209،208.

22 -عبد الفتاح أحمد الفاوي: التصوف عقيدة وسلوك، مكتبة الزهراء ،ط1، 1412ه-1992م، ص:219.

23 -المصدر السابق ،ص:330.

24 - عبد الفتاح أحمد الفاوي: التصوف عقيدة وسلوك ، ،ص:220.

25 -المصدر نفسه ،ص : 44.

26 -المصدر نفسه ،ص:328.

27 -المصدر نفسه ،ص:304.

28 عمر فروخ : التصوف_في الإسلام، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، بيروت، ط1، 1366ه-1947م، ص:10.

29 المرجع نفسه ، ص:11.

30 – إليف شافاق : قواعد العشق الأربعون،((رواية عن جلال الدين الرومي):ص:7.

31 – المصدر نفسه ،ص:18.

32 – المصدر نفسه ،ص:10.

33 – المصدر نفسه :ص:215.

34 –المصدر نفسه ،ص:49.

35 المصدر نفسه ،ص:49.

36 –االمصدر نفسه ،ص:34.

37 –المصدر نفسه ،ص:384.

38 – سورة الأنعام : الآية 151.

39 – سورة المائدة : الآية 32.

40 – إليف شافاق : قواعد العشق الأربعون،((رواية عن جلال الدين الرومي)،ص :36.

41 –المصدر نفسه ،ص:39.

42 –المصدر نفسه ،ص :36.

[43] – المصدر نفسه ،ص :146.

[44] – المصدر نفسه ، ص:208.

[45] – المصدر نفسه ،ص:444.

[46] – المصدر نفسه ،ص:492.